# التأثيرات الحضارية لبلاد الرافدين والساحل الفينيقي (911 – 539ق.م) (الدينية واللغوية إنموذجاً)

د. نعيم عودة الزيدي

جامعة المثنى/ كلية الآداب

# The Cultural Influences of Mesopotamia and the Phoenician Coast (911-539 B.C)

Dr. Na'eem Udah Al-Zaidi

College of Arts / University of Al-Muthana

**Abstract**

The study of in international relations in the ancient times has great importance in historical studies, it's survey is the topic of historical incidents for a long period of time, and which can learn about the history of nations and mutual cultural impacts.

The civilization of Mesopotamian takes privileged position in ancient history, It is one of the most important political and cultural centers of gravity in the ancient world , and is one of the oldest human civilizations and most authenticity and widely tender, and it had civilizational and political relations with neighboring and distant countries influential and affected, directly and indirectly, in many aspects of civilization, especially of civilization, especially if we know that this civilization has been opened to other civilizations.

The countries that were most adjacent to Mesopotamia, were the rulers and king of Mesopotamia, Those rulers and kings had sought since ancient times to get to the forests of rice and into the Mediterranean Sea to exploit the resources that were necessary for their needs before the establishment of the Assyrian empire and beyond even the Phoenician cities.

It should be noted that the location of Syria in the important region between the two powerful civilizations, Mesopotamia and Egypt, made it prone to the economic and military ambitions which did not allow the establishment of an empire in the Levant.

The choice of theme of " cultural influences between Mesopotamia and the coast Phoenician during the period from (911-539 BC) " , is an attempt to shed light on an important aspect of relationships of Mesopotamia in one of the most important period of ancient history, which is designed to give a detailed picture as much as possible about these civilizational effects.

Open werds Effects Mesopotamia The civilization of Mesopotamian.

**المقـدمـة**

إن لدراسة العلاقات الدولية في العصور القديمة اهمية كبرى في الدراسات التاريخية، فدراستها تشكل الموضوع الرئيس للحوادث التاريخية لمدة طويلة من الزمن، ومن خلالها يمكن إن نتعرف على تاريخ دول تلك المرحلة وتأثيراتها الحضارية المتبادلة.

تحتل حضارة بلاد الرافدين مكانة متميزة في التاريخ القديم، فهي من أهم مراكز الثقل السياسي والحضاري في العالم القديم، وتعد من أقدم الحضارات الانسانية وأكثرها أصالة وأوسعها عطاءً، وكانت لهذه الحضارة صلات حضارية وسياسية مع البلدان المجاورة والبعيدة، تأثيراً وتأثراً، مباشراً وغير مباشر في أكثر من جانب من جوانب الحضارة، لاسيما اذا علمنا إن هذه الحضارة كانت منفتحة على غيرها من الحضارات.

إن البلدان التي هي اكثر مجاورة لبلاد الرافدين هي مدن الساحل الفينيقي في سوريا القديمة، وقد كان الاتصال مع هذه البلاد يسيراً إذ ظهرت آثاره منذ أقدم العصور، واتضح في العصور التاريخية من حيث التأثيرات الحضارية المختلفة، والعلاقات السياسية والنزاعات العسكرية.

وكانت مدن الساحل الفينيقي على جانب كبير من الأهمية لحكام بلاد الرافدين وملوكها، فقد سعى أولئك الحكام والملوك منذ أزمان موغلة في القدم للوصول الى غابات الأرز والى البحر المتوسط واستغلال تلك الموارد لحاجاتهم الضرورية اليها قبل قيام الامبراطورية الآشورية وبعدها وحتى قيام المدن الفينيقية.

ولابد من الاشارة أن وقوع سوريا عموماً في منطقة هامة بين حضارتين قويتن سياسياً واقتصادياً وهما بلاد الرافدين ومصر جعلها المحك الرئيس لأطماعهما الاقتصادية والعسكرية الامر الذي لم يسمح لقيام امبراطورية قوية في بلاد الشام.

أن اختيار موضوع "**التأثيرات الحضارية بين بلاد الرافدين والساحل الفينيقي للفترة من (911- 539ق.م) (الدينية واللغوية انموذجاً)**"، هي محاولة لتسليط الضوء على جانب مهم من العلاقات والصلات الحضارية لبلاد الرافدين في مدة من أهم مدد التاريخ القديم، وهي تهدف إلى إعطاء صورة مفصلة قدر الامكان عن تلك التأثيرات الحضارية.

**كلمات افتتاحية:** تأثير، بلاد الرافدين، الساحل الفينيقي

**التمهيد**

من الامور المسلم بها أن هناك اواصراً وثيقة ومتداخلة بين الاحداث التاريخية وبين جغرافية الارض ومظاهرها الطبيعية التي تعد مسرحاً لتلك الاحداث، لذا من الصعب ان تكتمل المعرفة التاريخية بدون المعرفة الجغرافية لذلك قال البعض ان الجغرافية تصنع التاريخ، لهذا فان تناول صفات أرض بلاد الشام وبلاد الرافدين الجغرافية يساعدنا في فهم تاريخها السياسي والحضاري، وابراز اهمية الموقع الجغرافي في سير الاحداث التاريخية.

حظيت بلاد الرافدين بموقع جغرافي ذو اهمية كبرى في سير تاريخه، إذ تقع في الجزء الجنوبي من قارة آسيا، وتربط القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا (بصورة غير مباشرة)[1]، وهو موقع جغرافي متميز في منطقة متوسطة من العالم القديم، ووقوعه بين البحر المتوسط والخليج العربي جعله الجسر الأرضي الذي يربط طرق المواصلات البحرية بين سكان بلاد الرافدين والمناطق المجاورة والبعيدة[2]. ولاشك أن هذا الموقع المتميز سهل حركة التجارة والاتصال مع البلدان سواء التجارة أو الحملات العسكرية وانتقال التأثيرات الحضارية، وزاد أهمية الموقع اختراق نهري دجلة والفرات للعراق من شمالة الى جنوبه.

إما الحدود الجغرافية للساحل الفينيقي والذي عرف بالإقليم الفينيقي الذي لم يتفق الباحثون على تحديده كونه لم يمثل دوله واحدة بل هو امتداداً جغرافي على طول الشريط الساحلي الضيق المطل على شرق البحر المتوسط وعموما يمكن تمييز خمس مناطق تمتد ما بين البحر والبادية تمثل جغرافية الاقليم وهي السهول الساحلية ومنطقة الجبال الغربية والسهول المنخفضة وسلسلة الجبال الشرقية واخيراً البادية[3]. وكان الساحل الفينيقي عموماً عبارة عن جسر يربط بين عدة حضارات متباينة في وادي النيل وبلاد الرافدين ثم شبه الجزيرة العربية وفي آسيا الصغرى وبحر ايجة وبلاد الإغريق[4]. كما كان هذا الساحل عبارة عن طريق دولي بري، وكانت تجري على هذا الطريق اكبر تجارة شهدها العالم في ذلك العهد[5]، وقد استحال قيام دولة على هذا الطريق لكونه شديد المنفعة بين الطرق والاكثر هشاشة مما جعله مصدر للنزاعات الدولية وموئلاً لها[6]. ولعل ابرز دليل على التأثير الجغرافي في التاريخ نلاحظ ان بلاد الشام لم تقم فيها امبراطورية قوية بسبب وقوعها الجغرافي، فمن الشرق العراق من الجنوب الغربي مصر لذلك صارت مسرحاً للصراع السياسي بين الامبراطوريات التي قامت في بلاد الرافدين ووادي النيل، فأحيانا تصبح خاضعة الى تلك واحياناً للثانية، لذلك لم يتم فيها قيام حكومات قوية تمد نفوذها الى بلاد الرافدين ووادي النيل.

وكانت فينيقيا غير قادرة على أن تبقى منعزلة أو محايدة إزاء المنافسات التي تجاذبت العالم القديم وكان عليها أن تصطلي بنارها او ان تنحاز الى فريق منها وكان ضمها ضرورة من الضرورات التي تحرص على تأمينها كل الإمبراطوريات الكبرى وذلك لمواردها العظيمة وتجارتها الكبيرة واسطولها الكبير[7].

(1) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،الطبعة الاولى لدار الوراق، لندن،2009م، ص33

(2) الخلف، جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية،ط2، معهد الدراسات العربية والعالمية، الجامعة العربية، القاهرة، 1961م، ص9.

(3) غزاله، هديب حياوي، دور حضارة العراق القديمة في بلاد الشام، اطروحة دكتوراه غير منشوره، جامعة القادسية، 2002م، ص13.

(4) غلاب، محمد السيد، الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت 1969م،ص46.

(5) شريف، محمد شريف، تطور الفكر الجغرافي، العصور القديمة ج1، القاهرة، 1969م، ص101.

(6) عبد الملك، عبد المجيد، ساحل بلاد الشام والصراعات الدولية دراسة جيوبوليتيكية وجيوستراتيجية، الكتاب الاول، ط2، بيسان، بيروت،2002م، ص18.

(7) ج. كونتنيو، الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، الهيئة المصرية للكتاب، 1997م، ص38-39.

وخلاصة القول ان تاريخ مدن الساحل الفينيقي وحضارتها قد شعرت منذ الالف الثالث قبل الميلاد بتأثير بالموقع الجغرافي، لكن هذا الموقع الذي تتمتع به مدن الساحل الفينيقي، انعكس على العراق في ناحيتين، الاولى ان موقع المدن الفينيقية جعلها جزءاً متمماً لبلاد الرافدين من الناحية التجارية، وبالتالي فإنها تتكامل معه اقتصادياً لأن العراق يعد المعبر الشرقي لها الى الاقاليم الشرقية وبالتحديد الى بلاد ايران، والناحية الاخرى ان موقع مدن الساحل الفينيقي شكل مدخلاً ومنفذاً للعراق لدخول بعض الاقوام، التي كانت تسكن في مناطق بحر ايجة وهضبة الاناضول من جهة ومن ناحية مصر والبتراء من جهة اخرى[1].

ولكن ينبغي علينا الاشارة هنا الى ان مقومات الحضارة قد انتقل كثير منها من بلاد الرافدين الى مدن الساحل الفينيقي في العصور المختلفة وتم ذلك من خلال طريقين رئيسين هما[2]:

**أ- العلاقات السياسية والعسكرية.**

**ب- التجارة:** ومن جهة اخرى فقد انتقلت الى بلاد الرافدين في العصر الآشوري الحديث والعصر الكلداني عناصر من الحضارة الفينيقية الامر الذي ادى الى ظهور نوع من التزاوج الحضاري بينهما وهي دلالة على مدى تأثر كل منهما بالأخر نتيجة لهذا التبادل المشترك في المنافع بغية الارتقاء بواقعها الحضاري.

**المبحث الاول**

**التأثيرات الدينية:** يمكن تقسيم التأثيرات الدينية لبلاد الرافدين على الساحل الفينيقي التي يعود الى مجموعة من المؤثرات لعل اهمها:

**1-تشابه الديانات السامية:** كان الدين[3] في الحضارات القديمة في مصر وآشور وبابل وفينيقية أساس حياة الجماعة يتجه إليه التفكير الدائم، ويوحي بالتأمل والتفكير بالطبيعة وظواهرها، لذلك كان تأثيره كبيراً على الحياة برمتها[4]، إذ يأتي الدين من حيث الاهمية في الطليعة في حضارة كل امة سواء أكانت حضارتها اصلية أو غيرها وعنصر عام تشترك فيه كل الحضارات باختلاف مراتبها في سلم الرقي، ان تاريخ بلاد الرافدين وحضارته يصعب لا بل يستحيل فهمها ما لم يدرس الدين قبل كل شيء، إذ بلغ تغلغل الدين وآثره في كل لون او سمه من حضارته لدرجة جعل جميع معارفة وعلومه وآدابه لا يمكن البحث فيها بمعزل عن الدين، لذا يمكن تسمية حضارة بلاد الرافدين مثل غيرها من الحضارات القديمة بأنها حضارة دينية[5]، وأمتد تأثير تلك الحضارة في المجال الديني الى مدن الساحل الفينيقي.

وكانت اساطير الخلق والتكوين[6] في مقدمة أي منظومة ميثولوجيه لأي مجتمع من المجتمعات[7]، ويرى موسكاتي[8] أن هناك وجوه شبه بين أسطورة الخلق البابلية وأسطورة الخلق الكنعانية الفينيقية، بيد أن أسطورة الخلق الكنعانية الفينيقية وردت صورتها المتأخرة التي يوردها فيلون الجبيلي[9].

---

(1) شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، ج1، بغداد، بدون سنة طبع، ص 308.

(2) الحديدي، احمد زيدان خلف، علاقات بلاد اشور مع الممالك الحثية الحديثة في شمال سوريا (911-612ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، 2005م، ص84.

(3) الدين في نظر البعض محصور في نطاق الاديان المعتمدة على الوحي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً هو الله الواحد الاحد الخالق، وغير ذلك يخرج من الدين مع العلم ان القران الكريم ديناً في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ {آل عمران/85}، ويسمي القران معتقدات الاخرين ديناً ولو كان الكفر قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ {الكافرون/1} لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {الكافرون/2} وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {الكافرون/3} وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ {الكافرون/4} وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {الكافرون/5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {الكافرون/6}، فالاسلام والتوحيد هي دين الفطرة ودين الانبياء من آدم (ع) الى آخر نفس ولكن التربية الضالة هي التي تجعل الانسان يدين بأي دين آخر، للمزيد انظر: سفر الحوالي، اصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، دار العلماء، القاهرة، 2010م، ص82-84 ؛ ابو زيد، بكر، الإبطال لنظرية الخلط بين دين الاسلام وغيره من الأديان، دار عالم الفوائد،ط2، مكة المكرمة 1421ه، ص45-58.

(4) ج. كونتنيو، الحضارة الفينيقية، المصدر السابق، ص116.

(5) باقر، طه، " ديانة البابليين والاشوريين "، سومر، ج1، مجلد 2، 1946م، ص1.

(6) اسطورة الخلق:" هي رواية رمزية عن بداية العالم كما فهمها مجتمع معين، للمزيد انظر: عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الادنى القديم، دار الحصاد، دمشق، 1999م، ص28.

(7) السواح، فراس، مدخل الى نصوص الشرق القديم، دار علا الدين، دمشق، 2006م، ص10.

(8) موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ص131.

(9) فيلون الجبيلي: هو كاتب يوناني ولد في فينيقية حوالي 42م، وضع كتاب في الديانة الفينيقية، وقد نقل وترجم عن كتب سانخونياتون الكاهن الفينيقي الذي ولد حوالي القرن 11ق.م، للمزيد انظر: كونتنو، المصدر السابق، ص126.

وتعتبر أسطورة الخلق البابلية من أعرق وأوسع أسطورة في تكوين الخليقة في العالم القديم، وبسبب عراقتها كانت مصدراً أساساً لأغلب أساطير التكوين في ذلك الوقت[1].

فقد تصور البابليون أن المياه الأزلية كانت أصل الوجود، وورد ذلك باسم قصة الخلق او أسطورة الخليقة البابلية وعرفت بعنوانها البابلي " حينما في العلى " ومن تلك

**الملحمة: "حينما في العلى لم ينبأ عن السماء، وفي الدنى (الأسفل) لم تذكر ارض باسم، وكانت مياه " ابسو " الموجود الأول"**[2].

أما عن رواية الخلق التي أوردها فيلون الجبيلي: "**في البدء كان كل الوجود عبارة عن الهواء السميك والفضاء...**"[3]

ورواية فيلون الجبيلي السابقة عن الخلق، تحمل مؤثرات مصرية وإغريقية واضحة[4] ويتضح بذلك عدم مطابقتها للرواية البابلية التي تجعل الماء اساس الخلق.

وتعكس النصوص الاوغاريتيه عناصر تأثيرية على الديانة والاساطير الفينيقية، إذ لم توجد نصوص في التكوين على طريقة قصة التكوين البابلية، والنصوص الموجودة التي لعب فيها بعل الدور الرئيس وشريكته عناة وقصص بعل والمعبود يم، وهي اعادة لصورة النزاع الذي جرى في اسطورة التكوين البابلية بين مردوخ ومياه الغمر تيامة، ويرجح أحد الباحثين أن القصتين يشتركان في الأصل الواحد[5].

ففي الأسطورة البابلية انتصر مردوخ على تيامة:

" **فلما تهاوت أمامه أجهز عليها،**

**طرح جثتها أرضا واعتلى عليها** "[6].

في حين النص الاوغاريتي انتصر بعل على عدوه يم:

" **تنقض الهرواة في يد (بعل)،**

**مثل النسر بين أصابعه،**

**يضرب هامة (يم)**

**بين عيني القاضي نهر**

**ينهار يم ويسقط على الأرض** "[7].

ويتحدث نص آخر عن سعي بعل لبناء بيت لسكناه، كما حصل مردوخ على بيت بعد انتصاره.

ففي النص البابلي:

" **ساصنع منزلاً يكون منزلي المترف**

**واقيم بداخله مركز عبادة....**"[8]

(1) الماجدي، خزعل، انجيل بابل، الدار الاهلية، عمان، 1998م، ص13.

(2) اعتقد العراقيون في " ابسو" انه كان الهاً وفي الوقت نفسه " المياه الاولى" ومياه العمق،لذلك سمي معبد الاله " ايا" بيت العمق أو "اي – ابسو "، للمزيد عن اسطورة الخلق البابلية انظر: القيسي، محمد فهد حسين، قصص الخليفة في العراق القديم بين المعطيات المسمارية والكتاب المقدس والقران الكريم، اطروحة دكتورة، جامعة واسط، كلية التربية، قسم التاريخ 2006م، ص18.

(3) كونتنو، المصدر السابق،ص ؛ مهران، محمد بيومي، المدن الفينيقية، ص307-308؛ فرج، هولو جودت، " أضواء على معتقدات صور الفينيقية "، تاريخ العرب والعالم، السنة 20، العدد 184، 2000م،ص 67-68.

(4) الماجدي، خزعل، المعتقدات الكنعانية،عمان، دار الشروق، 2001م،ص91

(5) السواح، فراس، المصدر السابق، ص20-21

(6) باقر، طه، المصدر السابق، ص79.

(7) Ginsberg,H.L., " Ugaritic Myths , Epics, Legends" in (ANET) P.131.

(8) دالي، ستيفاني، اساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة: نجوى نصر، بيسان، بيروت 1979م، ص307.

ويبين النص الأوغاريتي:

" **تهلل القوي،**

**لقد بنيت بيتي من فضة**

**من ذهب قصري شيدته** "[1]

وهنا يمكن ان نلاحظ ايضاً إن النماذج الفكرية لبلاد الرافدين التي كانت من تلك الاسباب التي أبداها الاله بعل بصدد حاجته لبيت، فقد كانت تقدمات الطعام ضئيلة للغاية لا تتناسب مع الاله الذي يركب السحب[2].

ومن الأمور التي تتشابه فيها الأساطير، وهي عادة موغلة في القدم شائعة لدى الآشوريين وغيرهم من شعوب الشرق الأدنى القديم وهي افتراض أشخاص معينين على أنهم مخترعو كل شيء وتسمية الاشخاص بأسماء الأشياء المخترعة[3].

وهكذا يتبين لنا أثر الاساطير الدينية لبلاد الرافدين على مدن الساحل الفينيقي، من خلال التأثيرات البابلية الواضحة في مجال العقيدة، وربما ساعد في ذلك استخدام الفينيقيين الكتابة البابلية وكانوا يزورون بابل نفسها وترجموا بعض النصوص البابلية وتأثروا بتلك العقائد[4] الامر الذي ادى الى هجرة الفكر الديني اليها.

**2- المعبودات الفينيقية مقارنة بالمعبودات في بلاد الرافدين:**

ارتبطت الديانة الفينيقية[5]، ارتباطاً وثيقاً بطبيعة أرض كنعان، والعوامل الجغرافية، إذ عكست العبادات في جوهرها وظاهرها مدى التأثر بتلك الطبيعة، وفكرة الخصوبة والتعلق الروحي بالشمس وعبادة الظواهر الخارجة عن سيطرة الانسان[6].

كانت ديانة الفينيقيين عبارة عن مجموعة من الطقوس والعبادات التي تقيمها المدن الفينيقية وتختلف من مدينة الى اخرى، وكان لكل مدينة بعلها أي سيدها[7]، ولها شعائرها وطقوسها المتميزة، وتركز كل مدينة في عبادتها على ذاك الاله او تلك الالهة، دونما كفر بالإلهة الأخرى[8]، ويستطيع الباحث الوقوف على بعدين اساسيين في الديانة الفينيقية وهما التفتح والقدرة على التطور[9].

ومن نافلة القول ان الدين الفينيقي يختلف كثير من الدين الآشوري والكلداني في المستوى الحضاري، يتجلى ذلك من خلال صعوبة طقوسه واهتمامه بالعناصر الجنسية، والالهة كانت ذات طابع غير محدد أو ثابت فكثيراً ما تتبادل خصائصها ووظائفها وصلاتها بل وجنسها، وذلك راجع الى انعدام الوحدة بين الفينيقيين، وعدم وجود طبقة من الكهان كما كان الدين في أرض الرافدين[10].

ومن الجدير بالذكر ان مظاهر الديانة الآشورية ايضاً تتماثل بتعدد الالهة (مبدأ الشرك) مثلما هو الحال في واقع الديانة الفينيقية، إذ بلغ عدد الالهة الآلاف التي تشبه البشر في صفاتها الروحية والمادية وهو ما يعرف بمبدأ التشبيه [11]، وقد قدس الآشوريون جميع الالهة البابلية وكانت معتقداتهم وخصائص دينهم لا تفترق في أسسها وأصولها عما عند البابليين [12].

وكانت الالهة في بلاد الرافدين والساحل الفينيقي تحمل الصفات نفسها والعمل نفسه وتختلف في الاسماء كما سيتضح من المقارنة التالية.

---

(1) Ginsberg, H.L., OP.cit., p.134.

(2) عزيز، كارم محمود، المصدر السابق، ص68.

(3) كونتنو،المصدر السابق، ص129.

(4) رزقانة، ابراهيم وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، مكتبة مصر، د.ت، ص407.

(5) عن الديانة الفينيقية انظر: فرزات، محمد حرب،" الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجية في حضارة سوريا القديمة مراجعة لمصادر دراستها واهم ملامحها " دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة 13، العددان 41-42 اذار- حزيران 1992م،ص43-60؛مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، دار الحوار، اللاذقية، 1998م، ص33-38؛ كونتنو، المصدر السابق، ص116-174.

(6) مازيل، جان، المصدر نفسه، ص33.

(7) مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص311.

(8) فنطر، محمد حسين، الفينيقيون بناة المتوسط، منشورات البحر الابيض المتوسط، تونس، 1998م، ص141.

(9) المصدر نفسه، ص142.

(10) موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ص127.

(11) باقر، طه، " ديانة البابليين والاشورين "، المصدر السابق، ص3.

(12) المصدر نفسه، ص19.

**انات (عناة) الفينيقية، عشتار اربيل الاشورية:**

نجد أن انات او (عناة) وهي محاربة عذراء ظهرت في النصوص الاوغاريتية ولاسيما في ملاحم بعل وكرت[1]، تحمل كل صفات عشتار اربيل[2]، وهي التي اشتهرت في بلاد آشور بكونها آلهة الحرب[3]، وهي التي عبدها المصريون عندما فتحوا أرض كنعان وصوروها بصورة الألهة أنتا[4].

**المعبود " إيل " الفينيقي و " آنو" البابلي:**

إيل EL هو رأس المعبودات الفينيقية، واسمه بمعنى (آله) في السامية، ولكن عند الساميين الغربيين اله شخصي، ويسمى القوة والثور، ويمثل جالساً معظماً مرتدياً ثوباً طويلاً مع التاج المحاط بقرون، ورغم ذلك يظهر في الاساطير كأحد الضعفاء[5].

وقد ظل الاله إيل كالإله البابلي آنو$^{d}$AN في اللغة السومرية اما في اللغة الاكدية فيكتب بالصيغة $^{d}$Anu، شخصية غامضة بعض الشيء يسكن بعيداً عند منابع النهرين[6].

وكان آنو[7]، رأس الالهة البابلية،ويمثل آنو السماء، وكان يقدس في جميع أنحاء بلاد الرافدين في جميع الأدوار والعصور القديمة[8]، وكان إيل يحمل الصفات نفسها تقريباً، وورد ذكر هذا الاله في العهد القديم بعدة صفات[9].

وهناك تشابه في الرموز المستخدمة لكلا الالهين، لذا كانت التاج ذات القرون واحد من رموز آنو، ويستخدم كرمز مميز للإلوهية على المشاهد الفنية[10]، فضلاً عن ذلك فان الخوذة التي تشبه نبات الذرة، والتي يبرز في مقدمتها قرنان هي من رموز ايل ايضاً، وهما يدلان على الملوكية والإلوهية[11].

**تمـــوز:**

تموز هو إله الخصب كما تجسد في الأسطورة والطقوس السومرية والبابلية على انه إله شاب وراع سماه السومريون دموزي "Dumuzi "، والحقيقة فإن مدلول اسم هذا الاله (الابن البار أو المخلص)غير واضح إذا ما قورن ببقية أسماء الالهة السومرية الاخرى التي تكشف أسماؤها أحياناً عما تمثله من قوى ومظاهر طبيعية، وعلى الارجح أن اسم " دموزي " عبارة عن شكل مختصر من الاسم دموزي – ابسو (Dumuzi –Abzu الابن المخلص لابسو أي لمياه المحيط)، وقد عرف الاله دموزي عند الاكديين والعبرانيين بالتسمية نفسها السومرية تقريباً أي " تموزي " و " تموز " على التوالي، وخلد اسمه في العربية والعبرية بشهر تموز[12].

وهو قرين الآلهة عشتار، وامتدت عبادة هذا الاله تقريباً الى كل بلدان الشرق الادنى القديم[13]، ولعل السبب في انتشار عبادتهما لارتباطهما بطقوس الخصب التي كان من الضروري اقامتها لضمان عنصر الخصب في الطبيعة وتوفر الخيرات للمجتمع

(1) عندما سردنا اسطورة بعل، نرى أن أسم (عناة) مشتق من اسم (انانا) وهي الهة الحب والجمال السومرية وملكة السماء، ولكن شخصية عناة عن إنانا فبينما تميل عناة نحو القسوة والقوة تنحو إنانا نحو الرقة والخصب وتعني سيدة الجبل.الماجدي، خزعل، المعتقدات الكنعانية، ص153؛ فريجة، انيس، ملاحم وأساطير من اوغاريت، دار النهار، بيروت، 1980م، ص103.

(2) كونتنو، المصدر السابق، ص119.

(3) علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، الأهالي، دمشق، 1999م، ص58.

(4) كونتنو المصدر السابق، ص119

(5) إلياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات والافكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، 1986-1987م، دمشق، ص190.

(6) مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص314.

(7) للمزيد من التفاصيل انظر: علي، فاضل عبد الواحد، " المعتقدات الدينية "، حضارة العراق، ج1، بغداد، 1985م، ص149- 152.

(8) باقر، طه، " ديانة البابلين والاشوريين "، ص15.

(9) خلايلي، ابراهيم خليل، الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم والحوليات الاشورية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تونس، 2001م، ص356.

(10) الشاكر، فاتن موفق فاضل علي، رموز أهم الآلهة في العراق القديم، دراسة تأريخية دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل، 2002،ص 20.

(11) الماجدي، خزعل، المصدر السابق، ص76.

(12) علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، المصدر السابق، ص26-27.

(13) إلياد مرسليا، المصدر السابق، ص90.

البشري، لذلك تسربت كثير من المفاهيم المتعلقة بهما الى أنحاء بعيدة في العالم القديم[1]، ومنها مدن الساحل الفينيقي لما تحمل من قوى خارقة كان الانسان بحاجة اليها لديمومة صيانه.

وعرف هذا الاله في الساحل الفينيقي باسم أدون، وعرف عند الاغريق باسم ادونيس، وتركزت قصة ادون وعشتار في افقا عند نهر ابراهيم والمعروف بنهر ادونيس[2]، في اعالي لبنان وتقول القصة أن خنزيراً برياً هاجم تموز وأنشب نابه في جسمه، فحمل وهو ينازع سكرات الموت ومنذ ذلك الحين اصبحت مياه النهر تصطبغ بدمه عام بعد عام[3].

وهناك تعبير آخر للأسطورة إذ تقول أن تموز عندما جرح بقي ممدداً على العشب الطري فتسرب دمه في الأزهار، ونبتت شقائق النعمان التي تتفتح خلال فصل الربيع في لبنان[4].

وعندما يكون تموز في العالم السفلي (الموت) يذبل النبات ويظل تموز بين الأموات إلى أن ينزل إلى العالم السفلي[5]، فتخلصه وتعود به، وعند قيام ادونيس كانت تستولي موجة من الفرح تشبه الجنون على عباده من الرجال والنساء، وكانت النساء يقدمن عفافهن كقرابين، بينما يضحي الرجال برجولتهم ويقدمون أنفسهم خداماً خصياناً في الهيكل[6].

وكانت هذه الطقوس من الحزن والعزاء على نزول عشتار الى العالم السفلي في الصيف والاحتفال بعودة تموز في الربيع، في بلاد الرافدين، إذ ان عشتار تجسيد للخصب ومألوفة في كل آسيا الغربية، فهي الهة الامومة والخصب، وأضيف إلى صفاتها في آشور وبابل صفة الحرب والمعارك إلى عشتار، غير أنهم لم يخلطوا بين هذين النوعين من الصفات بل اعتبرت مظاهر مقدسة مختلفة واضحة المعالم، أما في فينيقيا فأعتبر المظهر الاول هو السائد فقط[7].

أما عن المدة التي يقضيها تموز في العالم السفلي فهي نصف سنة، وكان السومويون والبابليون يقيمون احتفالاً من اجل مسببات الخصب والتكاثر في الطبيعة، ولما كانت أساطير الخصب قد جسدت في عشتار وتموز، فقد كان منطقياً أن تعاد وقائع ذاك الزواج، فيقوم ممثلون عن الآلهة بتقمص شخصية تموز، والكاهنة العظمى بدور عشتار في احتفال كبير يعرف بالزواج المقدس[8].

**عشتـار:**

عشتار الهة ترمز الى الخصب على الصورة المألوفة في كل آسيا فهي آلهة الأمومة والخصب والآلهة الأم[9]، وهي الالهة الرئيسة في اغلب مدن بابل واشور، وسموها عشتار، كما في مدن الساحل الفينبقي، وفي كل مناطق الشرق القديم وان تغير اسمها بعض الشيء وطقوسها من مكان لآخر[10].

فقد عرفت عند السومريين باسم (انانا)، وعبدها البابليين والكنعانيين بصفتها أنثى، وعبدها عرب الجنوب على أنها آله ذكر[11]، وانتقلت عبادتها الى بلاد البحر المتوسط واطلق عليها اليونان اسم " افروديت "[12]، وعبدها الرومان تحت اسم "فينوس"[13].

(1) علي، فاضل عبد الواحد، عشتار...، المصدر السابق، ص11.
(2) ينبع هذا النهر من مغارة افقا ومن نبع آخر ثانوي في مرتفعات العاقورة، ومن ينابيع ثانوية أخرى، ويصب في البحر المتوسط إلى الجنوب من جبيل بنحو 6كم، أبو العينين، حسين سيد أحمد، لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية، دار النهضة العربية، 1980م، بيروت، ص493.
(3) حتي، فيليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، ترجمة انيس فريحه، مراجعة نقولا زيادة، دار الثقافة،ط2، بيروت 1972م، ص158 ؛ مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص322 ؛ والسبب في تلون مياه النهر باللون الأحمر لان المياه عند جريانها تختلط بالمواد البازلتية والطينية الحمراء، ولوجود عنصر الحديد فيها، ابو العينين، حسين أحمد، المصدر السابق، ص493؛ كونتنو، المصدر السابق، ص431.
(4) مازيل، جان، المصدر السابق، ص34.
(5) هناك روايات للأسطورة " نزول عشتار (اينانا) إلى العالم السفلي، إحدهما رواية سومرية والأخرى بابلية، عن تلك النصوص انظر: باقر، طه، وفرنسيس، بشير، " عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر "، سومر، ج1، المجلد10، 1954م بغداد، ص8-39.
(6) حتي، فيليب، المصدر السابق، ص158؛مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص322-323.
(7) كونتنو، المصدر السابق، ص139.
(8) علي، فاضل عبد الواحد، عشتار....، المصدر السابق، ص101.
(9) ج. كونتنو، المصدر السابق، ص139.
(10) مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص323.
(11) علي، فاضل عبد الواحد، عشتار....المصدر السابق، ص22
(12) برستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة،ترجمة: احمد فخري،القاهرة 1966م، ص194.
(13) مازيل، جان، المصدر السابق، ص35.

وهي ايضاً آلهة صور الرئيسة[1]، وكانت عبادتها منتشرة عند بني إسرائيل وطالب كتاب العهد القديم بني اسرائيل بالابتعاد عن عبادتها: "**إن كنتم بكل قلوبكم راجعين الى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم**"[2]

واشتهرت كذلك عبادتها في جبيل، وكانت كذلك صاحبة السيادة في ريف صيدا أكثر من المدينة نفسها[3].

ومما تقدم في وصف عبادة ادون قرين عشتار فانه يتضح ما يصاحب هذه الممارسة من البغاء وانتشار تلك العادة الى أماكن كثيرة عن طريق الفينيقيين.

ويتضح مما سبق مدى الممارسات غير المقبولة في هذه الديانة الوثنية التي لا تقدم ديناً ولا خلقاً ولا تحمي عرضاً ولا شرفاً، وإنما تجعل من كل ذلك سبيلاً إلى رضا الآلهة بوسائل تفتقر الى الأصالة الخلقية [4].

**التضحيـــة:**

إن التشابه لا يقتصر على ما ذكرناه سابقاً وانما يمتد الى عادات اخرى مشتركة بينهما ومنها بعض الطقوس الدينية كالأضحية[5]، إذ جهزت المعابد بموائد القرابين، وتقدم الأضاحي في سبيل إرضاء الالهة[6].

ولاشك أن الفينيقيين استخدموا جميع الأضاحي الحيوانية والنباتية، فقد كانوا يقدمون القرابين من الخمر والطحين إلى تماثيل الإلهة في الغابات وكانوا يذبحون الحيوانات ويصبون الخمر فوق الأضرحة لتشربها الأموات ومن المرجح أن دم الذبائح يهرق في المقابر[7]. فضلاً عن ذلك فقد عرف الفينيقيون التضحية البشرية[8]، وهي اشهر ممارسات الديانة الفينيقية والمعروفة في قرطاج[9].

والواقع أن كثيراً من مجتمعات الشرق الأدنى القديم قد عرفت عادة التضحية البشرية، التي كانت تقدم على مذابح الالهة الوثنية، فتدل حفائر أور[10]، على قدم تلك العادة[11]، ودلت معظم الأبحاث الأثرية ان المتوفي من الملوك والحكام يصحبه الى العالم الآخر طواعية واختياراً نخبة من حاشيته والحرس والجنود الذين يرتدون أجمل حللهم وأدواتهم وأسلحتهم وعرباتهم ويبدو من أوضاعهم أنهم كانوا جميعاً يأخذون أماكنهم بانتظام وهدوء[12]. وعثر كذلك على بقايا تضحيات بشرية في مواقع كفر جرة (بجوار صيدا)[13]، إذ كانت التضحية وخاصة التضحية بالابن البكر عرفاً جارياً لدى الكنعانيين في العصر القديم[14].

وقد اوردت النصوص الاشورية معلومات هامة وتحديداً بخصوص تقديم الضحايا البشرية لتمجيد الآلهة، ومنها نص يشير إلى انه يتوجب حرق الابنة الكبرى للشخص الناكث بصفقة تجارية مع عشرين (كا/قا[15]) من خشب الأرز، إلا أن هذه العادة يبدوا أنها توقفت مع بداية القرن السابع ق.م[16].

---

(1) يرى معظم الباحثين أن ملقرت هو رئيس الالهة في صور وتسجل الحوليات الصورية أن الملك حيرام بنى معابد لملقرت ولعشترت في القرن العاشر قبل الميلاد، للمزيد انظر: فرزات، محمد حرب، المصدر السابق، ص54.

(2) صمويل الاول: الاصحاح7:3.

(3) زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد، دار النهضة العربية،القاهرة 1966م،ص292؛مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص333.

(4) مهران، محمد بيومي، المصدر نفسه،337.

(5) حتي، فيليب، المصدر السابق، ص167.

(6) الناضوري، رشيد، المصدر السابق، ص142.

(7) الماجدي، خزعل، المعتقدات.... المصدر السابق، ص248.

(8) الناضوري، رشيد، المصدر السابق، ص142؛ الجربي، فيصل علي اسعد،الفينيقيون في ليبيا من 1100ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، الدار الجماهيرية بنغازي1996م،ص33.

(9) قرطاج: هي أعظم المدن الفينيقية عبر البحار، تقع بالقرب من مدينة تونس، ويرجع تأسيسها الى عام 814ق.م ويذهب البعض الى أن اسم قرطاج-قرطاجة، إنما هي صور محرفة من الاسم الفينيقي (قرت حادشت) بمعنى المدينة الجديدة، للمزيد انظر، مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الادنى القديم، المدن الكبرى في مصر والشرق الادنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1999م، ص370-380.

(10) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، لندن 2009م،ص416-420.

(11) كان الملك السومري لا يوضع معه فقط كنزه من الذهب والفضة والمرمر واللازورد والبرونز بل ايضاً جثث حاشيته المذبوحة لتصحبه ولتخدمه في محيطه الملكي الجديد، للمزيد انظر، وولي، ليونارد، مدخل الى علم الاثار، ترجمة وتعليق حسن الباشا، الادارة العامة للثقافة، 1956م،ص91.

(12) الباشا، حسن، الفنون القديمة في بلاد الرافدين، اوراق شرقية، بيروت 2000م،ص33-34.

(13) الناضوري، شيد، المصدر السابق، ص142.

(14) كونتنو، المصدر السابق،ص164.

(15) كا او قا هي الوحدة الاساسية لقياس المكاييل وتعادل من الذراع المكعب او حوالي 842 ديسليتر للمزيد انظر:ديلابورت، بلاد مابين النهرين الحضارتان البابلية والاشورية، ترجمة محرم كمال، مراجعة: عبد المنعم ابوبكر،دت، الف كتاب (35)، ص274.

(16) حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، مطبعة السلام، بغداد 1978م،ص208.

أما الفينيقيون فقد استمروا في تقديم القرابين زمناً طويلاً خاصة خلال القرن السادس والخامس ق.م، حيث اخذ الفينيقيون تدريجياً يستعيضون عنها بتقديم القرابين من الحيوانات[1].

ومع كل ما تقدم فقد خضعت هذه العادة لمراجعة تحليلية كاملة وتبين أن هذه الأضاحي كانت استثنائية وان بعض الباحثين بالغ في الحديث عنها وفي اطلاق التعميمات[2] وكأنها قاعدة ثابته ملزمة دينياً للجميع.

المعبودات الوارد ذكرها في معاهدة أسرحدون مع بعل حاكم صور:

أن العراقيين القدماء كانوا يعتقدون أن اتفاقهم مع الدول والمقاطعات الأخرى ما هو إلا تنفيذ لرغبات الآلهة وإرادتها لذا أشهدوا على جميع معاهداتهم وعلى حسن تنفيذها ومراعاة بنودها ألهتهم القومية فذكروا أسماءها بتسلسلها المعروف كما تشير مراسيم إبرام المعاهدة والطقوس التي تصاحب المعاهدة إلى قدسية المعاهدة وطابعها الديني العام [3]، لذا يلاحظ أن الملك الآشوري يصب الكثير من الشتائم واللعنات في حالة حصول أي تنصل أو عدم التزام ببنود المعاهدة[4]،إذ تشغل الفقرات الخاصة باستنزال اللعنات جزءاً كبيراً من نص المعاهدة خاصة في العصر الآشوري الحديث باعتبار أن هذا يعد إثماً بحق الآلهة وعدم التزام بالتعاليم الدينية مما يجعل الطرف الثاني ملزماً بها لأنها مصبوغة بطابع ديني[5]، وفيما يلي نورد نصاً من زمن الملك اسرحدون تمثل واحدة من تلك الصور الواضحة للمعاهدات: ((**عسى أن" تربط بك " ننليل الساكنة في نينوى خنجراً ماضياً عسى أن لا تمنحك عشتار الساكنة في اربيلا الرحمة والغفران عسى أن تدخل جولا، الطبيبة العظيمة، المرض والتعب في قلبك، وقرح لايشفى في جسمك، (وعسى) أن تغتسل [ في دمك كما تغتسل في الماء]. عسى أن تسبب الآلهة السبعة، الآلهة المحاربة، بأسلحتها الرهيبة. عسى أن يسلمك بيث ايل "و" عناة– بيت ايل "(إلى اسد مفترس للإنسان، عسى أن تلعنك آلهة السماوات والأرض العظيمة، والهة بلاد آشور، والهة اكد، والهة بلاد "عبر–نارى " بلعنة أبدية. عسى " بعل شميم")، "وبعل ملقه" وبعل سافون أن تهيج ريحاً شريرة على سفنك، لتحطيم مراسيها وتمزق سواريها، عسى أن تحطمها في البحر موجة قوميه [ وعساها أن تسلط] فيضاناً عنيفاً ضدك. عسى أن يسلم " ملقارت" و" إشمون" بلادك للدمار، وشعبك للتهجير،[...] من بلادك. عساهم ان يحرموك من طعام فمك، (وينتزعوا) الملابس عن جسدك، والزيت عن مسوحك. عسى أن تكسر " عشتارته" قوسك في وفي المعركة،وان (تجعلك) تنحني عند أقدام عدوك، وعسى أن يقسم عدو أجنبي ممتلكاتك**))[6].

ويمكن ترتيب تسلسل الالهة كالاتي حسب ورودها في المعاهدة:

- ننليل هي بالأصل اسم زوجة الاله السومري انليل[7]
- عشتار: وقد سبق الحديث عنها في هذا المبحث، وكانت عشتار تظهر في عدة صور محلية، فنجد عشتار نينوى وعشتار اربيل وغيرها[8]
- جولا: وكانت تنعت هذ الالهة بقولهم الطبيبة العظمى[9]،كالإلهة للشفاء.
- بيت ايل: ربما كان صيغة آرامية للإله رافدي[10]، وهو سيد الالهة، خالق الخليقة، ذو الحكمة الكلية، يملي أوامره على بقية الالهة وكأنه الأوحد، وقد قال المؤرخون إن الكنعانيين دقوا أبواب التوحيد[1].

(1) مازيل،جان، المصدر السابق، ص36.
(2) فرزات، محمد حرب، المصدر السابق، ص52.
(3) سليمان، عامر، القانون في العراق القديم، ص105 – 106.
(4)الفهداوي، يوسف خلف عبد الله، المدلولات السياسية والعسكرية في مشاهد استقبال الوفود الملكية والحكام في بلاد وادي الرافدين، آداب بغداد، العدد 63، 2002م، ص497.
(5) سليمان، عامر، المصدر السابق، ص130.
(6) Reiner, E., " Akkadian Treaties from Syria and Assyria", 1969, pp.533f.
(7) ساكز، هاري، قوة اشور، ترجمة عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي، بغداد 1999م، ص288.
(8) ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، 1979م، ص355.
(9) كريمر، صمويل، من اواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة احمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد1975م، ص135.
(10) فرزات، محمد حرب، المصدر السابق، ص55.

- عناة بيت ايل: عناة الالهة اشتهرت في مدينة أوغاريت وظهرت كثيراً في نصوصها، مثل ملحمة البعل وعناة وغيرها من الملاحم والاساطير[2]، وهي محاربة عذراء لها صفات عشتار صاحبة اربيل الاشورية أي الهة الحب والحرب[3]، ومع ذلك فتبقى هويتها غير مؤكدة، لان في اوغاريت عناة هي قرينة بعل وليس إيل[4].
- بعل شميم: يدل اسم هذا الاله انه اله السماء، الذي تتبع له النجوم والبرق والمطر، وقد أحرز مكانة دينية مرموقة في جبيل كإله للمناخ وللسماء نصب عرشه فوق غابات الأرز[5].
- بعل صافون (سافون): هو اله محلي قديم كان يسمى في فلسطين الجنوبية بعل صافون أو بعل الشمال[6]،أي اله الشمال.
- ملقرت: كان اله صور الرئيس، وكلمة ملكرت تتكون من كلمتين وهما ملك– بمعنى ملك، وقارت بمعنى مدينة، أي ملك المدينة او اله المدينة وشبه الإغريق بالالهم هرقل[7].
- اشمون: هو اله فينيقي في صيدا، ولم يحمل لقب بعل، ويعد اله الصحة والطب[8].

وفضلاً عن هذه الاسماء (الآلهة السبعة) ذكرت آلهة السموات والارض، آلهة بلاد اشور، الهة اكد، آلهة بلاد عبرنايري.

وقد صيغت المعاهدة بأسلوب صار تقليداً لا يتغير عبر العصور، وكان من المعتاد ترتيب الالهة بحسب مكانتها، ولكن في هذه المعاهدة نرى أن عشتار وهي الهة رئيسة تأتي في المرتبة الثانية بعد ننليل[9]، ونجد انه بعد ذكر الاله يذكر الصفات التي يعاقب بها من ينقض بنود المعاهدة.

**الكتابـــة:** إن إبداع نظم الكتابة هو واحد من أهم الانجازات في تاريخ البشرية على مر العصور[10]، وقد مرت بمراحل متعددة[11]، حتى وصلت الى الابجدية المعروفة اليوم

**انتشار الخط المسماري الى مدن الساحل الفينيقي:**

بعد أن تم التوصل الى ابتكار الكتابة المسمارية في اواخر الالف الرابع قبل الميلاد، بظهور الكتابة المقطعية التي وجدت على مجموعة من الألواح التي عثر عليها في مدينة أور، والمؤرخة بحوالي 2800ق.م، اعتمد على اختيار علامات مسمارية[12]، تكون أصوات كل مجموعة منها كلمة واحدة بدون ان يكون لمعنى كل علامة او مدلولها صلة بذلك بالوصول الى المقطعية انفتح الباب أمام

(1) صائب، سعد، دور سوريه في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ القديم، دمشق 1994م، ص28
(2) فريجة، انيس، المصدر السابق، ص71-100.
(3) ج. كونتنو، المصدر السابق، ص119.
(4) فرزات، محمد حرب، المصدر السابق، ص56.
(5) برنهردت، كارلهاينز، لبنان القديم، ترجمة ميشيل كيلو، مراجعة زياد منى، دمشق، 1999م، ص148.
(6) مهران، محمد بيومي، المدن الفينيقية، المصدر السابق، ص317.
(7) ج.كونتنو، المصدر السابق، ص137
(8) مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص319.
(9) فرزات، محمد حرب، المصدر السابق، ص56.
(10) زودن، ف فون، المصدر السابق،ص39.
(11) يمكن تقسيم مراحل الكتابة المسمارية الى:
1- مرحلة الرسوم أو الصور،وهو التعبير عن كلمة معينة بصورة تمثلها.
2- الكتابة برموز المعاني والاصوات، فلم تعد العلامات تعبر عن الشيء الذي تصوره فحسب بل أصبحت تستخدم للتعبير عن أفكار أخرى، فمثلاً أصبحت العلامة الدالة على الشمس تعبر عن معان مشتقة مثل لامع ساطع مشرق، ثم استخدم مايسمى التحديد القرينة، أي استخدام أكثر من علامة، فمثلاً رسم صورة الفم + ماء للتعبير عن الفعل شرب.
3- الطور الصوتي: وهو راجع الى ادراك استحالة التعبير عن الأفكار المجردة كالحياة والموت بالعلامات الصورية أو الرمزية ولذألك لجأوا الى استخدام اصوات العلامات مجردة من مدلولاتها الصورية والرمزية معاً.
4- الكتابة الابجدية، وتمتاز بأن كل رمز يمثل صوت وأمكن كتابة أسماء الأعلام على هيئة مقاطع صوتية واستخدام الخط المسماري لذلك.للمزيد انظر: الفياض، احمد لفته محسن، تاريخ الكتابة في بلاد الرافدين منذ ظهورها حتى اختراع الابجدية، اطروحة دكتورة غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، 2008،ص71-115؛هبو، احمد ارحيم، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سوريا وبلاد الرافدين، دار القلم العربي،2003م، ص52-53؛ الذيبب، سليمان بن عبد الرحمن، الكتابة في الشرق الادنى القديم من الرمز الى الابجدية، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2007م،ص43.
(12) اصطلح على تسمية هذه الكتابة بالمسمارية (Cuneiform) من اللاتينية (Cuneai) مسمار، (form) شكل، وقد سميت بهذه التسمية لان العلامات تتكون من خطوط ذات رؤوس مدببة تشبه المسامير، ويصح إطلاقها على الكتابة في أطوارها المتطورة، ومن الصعوبة بمكان في مراحلها القديمة، وهي المرحلة الصورية التي كانت فيها العلامات مجرد صور للأشياء التي يراد التعبير عنها، للمزيد أنظر: على، فاضل عبد الواحد، "هكذا كتبوا على الطين "، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد،عدد12، ص31.

تدوين اللغة الاكادية وجميع نصوصها[1]. وهذا التطور يحسب للبابليين والاشوريين الذين دونوا به نصوصهم[2]، وقد انتشر الخط المسماري خارج حدود بلاد الرافدين في عصر مبكر ونقل معه كثير من المفاهيم والمعتقدات والثقافات وهو من اعظم الانجازات التي قدمتها حضارات بلاد الرافدين في تاريخها للبشرية [3]. ولعل السبب الذي أدى الى انتشار هذا الخط – ولو لفترة محدودة – في غربي آسيا ومنها مدن الساحل الفينيقي، أن تلك الكتابة تصلح لتدوين لغات العالم القديمة في ذلك الوقت بمختلف اللهجات[4]. وقد اكتشفت في اوغاريت عدد من النصوص التي استخدمت في كتابتها الاشكال المسمارية الا أنها تتبع مبدأ الأبجدية الفينيقية المعروفة[5].

أصبحت اللغة الاكدية وخطها المسماري لغة التفاهم الدولية بين ملوك الشرق الادنى القديم، والدليل على ذلك رسائل تل العمارنة، فجميع هذه الرسائل باستثناء ثلاثة منها فقط، مدونة بالخط المسماري واللغة الاكدية بالرغم أن لغة معظم كاتبيها ولغة المرسل إليه لم تكن الاكدية، كما لم يكن الخط المستخدم عادة هو الخط المسماري، مما دل على أن اللغة والخط المسماري أصبح في هذه الفترة(القرن الخامس عشر والرابع عشر ق.م) لغة الدبلوماسية الدولية في كل آسيا الغربية [6] وفي الوقت نفسه تشير حيوية حضارة بلاد الرافدين.

وفي المقابل انتقل الى بلاد الرافدين الخط الارامي وطريقة الكتابة على البردي التي تعلموها من المصريين والفينيقيين، ويحتمل من احد المناظر من عصر شلمنصر الثالث أن أحد كتبته الآراميين كان يكتب على البردي واذا صح ذلك كان نموذجاً للكثير[7] لانتقال العناصر الثقافية، إذ أن الآرامية قد تفوقت على الاكدية وأصبحت في القرن السابع ق.م لغة العلاقات الدبلوماسية واللغة الدولية عوضاً عن الاكدية[8].

**الأبجدية الفينيقية:**

تشكل عملية الانتقال من الكتابة الرمزية والمقطعية الى الكتابة الابجدية القائمة على التعبير عن الأصوات المفردة الانجاز الضخم الثاني في مجال الكتابة[9].

إذ لابدّ لهم من اصطناع الحروف والاشكال في الكتابة، فقد اكتشف الفينيقيون الأبجدية في أوغاريت، وطوّروها في بيبلوس...جبيل...ويعتبر الحرف الفينيقي أثمن عطاء حضاري قدمته فينيقيا للبشرية ولسنا نبالغ إذا قلنا إنه أفضل اختراع قدم للبشرية في التاريخ [10]، ولعل العامل الاقتصادي كان له دور في هذا الابتكار، وقد انتشرت الكتابة القديمة بفضل التجارة لذلك وجدت النقوش الفينيقية منتشرة في انحاء متعددة من العالم القديم[11] ومن تلك النقوش ما وجد في بلاد الرافدين.

ومن الجدير بالذكر بان مدينة جبيل هي المكان الذي تم فيه اختراع نظام الكتابة الابجدية[12]، ففي القرن الخامس عشر قبل الميلاد – على وجه التقريب – وضع الفينيقيون اثنين وعشرين رمزاً – نسميها حروفاً– ترمز الى الاصوات اللغوية، وقد عثر على أقدم نقش فينيقي[13] كبير مدون على تابوت الملك حيرام (980–936ق.م)[1]، وتعد تلك الكتابة هي المرحلة المتطورة للكتابة بالحروف

(1) حنون، نائل، حقيقة السومرين، دار الزمان، دمشق،2007م، ص43-44.
(2) الذيب، سليمان، المصدر السابق،ص38.
(3) علي، فاضل عبد الواحد،" حضارة بلاد وادي الرافدين، أصالتها وتأثيرها في بلدان الشرق الادنى القديم العراق في التاريخ، بغداد1983م، ص275.
(4) هبو، احمد ارحيم، المصدر السابق، ص38.
(5) مورتكات، انطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون،د.ت، ص252؛ عبد الحميد زايد " نظرات عابرة في العلاقات بين لغات الشرق الادنى القديم " عالم الفكر، المجلد2، العدد الثالث، 1971م الكويت، ص170.
(6) سليمان، عامر،" العلاقات السياسية الخارجية "، حضارة العراق،ج2، بغداد1985م، ص134؛ كونتنو، المصدر السابق، ص373.
(7) صالح، عبد العزيز، الشرق الادنى القديم،ج1(مصر/ العراق)،ط6، القاهرة 1997م،ص624.
(8) زايد، عبد الحميد، " نظرات عابرة...."، المصدر السابق، ص177.
(9) زودن، ف فون،المصدر السابق، ص47.
(10) صائب، سعد، دور سوريه في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ القديم، دمشق، 1994م،ص30
(11) الذيب، سليمان، المصدر السابق،ص121.
(12) مازيل، جان،المصدر السابق، ص43؛زودن،ف فون، المصدر السابق،ص47.
(13) تقسم النقوش والخطوط الفينيقية الى ثلاثة انواع:
1- الخط الفينيقي القديم (ق12/11- ق 9ق.م)
2- الخط الفينيقي المتوسط (ق 8ق.م-ق6ق.م)

الهجائية المكونة من 22 حرفاً، والتي كان من ابرز صفاتها بساطتها مما جعل الكتابة والقراءة في متناول الشخص العادي[2] الامر الذي ادى الى انتشارها بسرعة.

ومن النقوش الفينيقية التي وجدت في بلاد الرافدين نقش وجد على صندوق من العاج في مدينة اور يعود للقرن السابع ق.م مصنوع في فينيقيا ثم نقل الى بلاد الرافدين كهدية وهو محفوظ في المتحف البريطاني، وهذه ترجمته:

" **هذا الصندوق أهدته أمة بعل، بنت فطاس،عبده...**

**هدية لآلهتها عشترت لتباركها**"[3]

أما عن أصل الأبجدية الفينيقية فقد اختلف الباحثون حولها هل هي الفبائية أم مقطعية[4]، ويمكن إجمال الآراء في ذلك على النحو التالي:

1-يرى هيرودت أن قدموس اخترع الأبجدية وأذاعها في أثناء استعماره للغرب، ويرى احد الباحثين انه إذا جردت اسطورة قدموس من زخارفها الشعرية فإنها تشير الى أن المهاجرين من فينيقيا ادخلوها الى بلاد اليونان[5].

2-أن الفينيقيين اخذوا الأبجدية عن طريق العلامات المصرية،إذ يرى الدكتور اسحق تيلر بان احتلال الساميين لمصر دام عدة قرون وأن أصل الخط السامي مرتبط بهذا الاحتلال.

3-أن الابجدية الفينيقية قد أخذت من الكتابة المسمارية التي كانت تكتب بها اللغة الآشورية[6]، ولعل من ابرز القائلين بأن اصل الابجدية بابلي كان المستشرقان ديكه وهومل وهذا يضيف الى نظرية الاصل البابلي حقيقة كون الخط العربي – الجنوبي أي الخط المعيني، هو اقدم من الخط السامي – الشمالي أي الفينيقي الكنعاني وأن حروف الهجاء جاءت الى الفينيقيين والى الشعوب الاخرى المجاورة من جزيرة العرب محل ولادتها ونشوئها[7].

4-أن أصل الأبجديات واحد وهو الأصل الكريتي، فلما نزح الفلسطينيون من كريت واستقروا في سوريا في الالف الثاني عشر حملوا معهم الحروف الكريتية[8].

5- أن أصل الأبجديات هو سيناء[9].

ويرى ديسو انه يجب الاعتراف للفينيقيين بما هو من حقهم صدقاً، فهم أصحاب اختراع يعتبر من اكبر الاختراعات البشرية منذ إن تركوا بإرادتهم الكتابات الكثيرة المعقدة المستعملة في أيامهم وميزوا 22 صوتاً تتيح تسجيل المخارج المختلفة الساكنة في لغاتهم[10].

---

3- الخط الفينيقي المتأخر(ق 5 ق.م- القرن الاول الميلادي)، وعن خصائص كل خط، للمزيد انظر: الذييب، سليمان، المصدر السابق، ص123-127.

(1) حامدة، احمد، مدخل الى اللغة الكنعانية، منشورات جامعة دمشق 1994-1995م،ص58.

(2) مهران، محمد بيومي، المصدر السابق،ص370.

(3) حامدة، احمد، المصدر السابق،ص108.

(4) هناك نظريات قديمة وحديثة حول هذا الموضوع، للمزيد انظر: بعلبكي، رمزي، الكتابات العربية والسامية، دار العلم للملايين، بيروت 1981م، ص68-88.

(5) هيرودوت:تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الاله الملاح، مراجعة احمد القاف وحمد بن صراي،ط2، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ابوظبي 2007م،ص396؛ مهران، محمد بيومي، المصدر السابق، ص370.

(6) وعلى هذا ألف ديل نظريته، واستطاع أن يجد في سهولة بين الحروف المسمارية اثنين وعشرين علامة ليجعلها عماد نظريته، إلا انه اقتبس تلك العلامات من كتابات تنتمي الى عصور مختلفة، وهذا من اكبر جوانب الضعف في نظريته، للمزيد انظر: كونتنو، المصدر السابق،ص377؛ غانم، محمد الصغير، المصدر السابق، ص34.

(7) باقر، طه، " اصل الحروف الهجائية وانتشارها"، مجلة سومر، مج1،ج2، بغداد 1945م، ص44.

(8) المصدر نفسة،ص379.

(9) هناك نظريات اخرى لأصل تلك الكتابة، لمناقشة تلك النظريات وأوجه الضعف فيها ومقارنتها انظر، بعلبكي، رمزي، المصدر السابق، ص17-67.

(10) كونتنو، المصدر السابق، ص391.

**الخـاتمـــــة**

من خلال العرض السابق للدراسة التي سلطت الضوء على جانب مهم من العلاقات الحضارية لبلاد الرافدين مع الساحل الفينيقي وبشكل خاص التأثيرات الدينية واللغوية في فترة من أهم فترات العصور التاريخية للمنطقة، اتضحت عدة نتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

1- هناك اسباب ودوافع دينية وجغرافية واقتصادية بالإضافة إلى الوضع السياسي للآشوريين في مطلع الالف الأول قبل الميلاد دفعت بهم للاتجاه غرباً إلى مدن الساحل الفينيقي.

2- بسبب العلاقات انتقل عدد من المظاهر الحضارية من بلاد الرافدين الى الساحل الفينيقي،كما انتقلت من جهة اخرى الى بلاد الرافدين مظاهر من الحضارة الفينيقية.

3-التبادل المشترك بين حضارة بلاد الرافدين ومدن الساحل الفينيقي من خلال دلالة التأثير والتأثر في المجال الديني بشكل خاصة بداية من أساطير الخلق والتكوين وتشابه المعبودات في صفاتها ورموزها، فضلاً عن العادات السامية المشتركة كالتضحية البشرية المعروفة في الساحل الفينيقي ومجتمعات الشرق الأدنى القديم والتي دلت حفائر أور على قدم تلك العادة.

4-أثبتت المصادر الكتابية انتقال الخط المسماري الى الساحل الفينيقي والذي نقل معه كثيراً من المفاهيم والمعتقدات، واستخدم في مدينة أوغاريت، فضلاً عن ذلك اصبحت اللغة الاكدية لغة التفاهم الدولية بين ملوك الشرق الادنى القديم، وفي المقابل انتقل الى بلاد الرافدين الخط الارامي وطرق الكتابة على البردي والتي نقلت من المصريين والفينيقيين.

5- تُعد الكتابة الابجدية من اهم انجازات الفينيقيين، ونشر تلك الكتابة بفضل التجارة، إذ وجدت النقوش الفينيقية في أجزاء واسعة من العالم القديم ومنها مدن بلاد الرافدين.

**المصادر**

**اولاً: الكتب العربية:**


1- القرآن الكريم

2- التوراة

3- أبو العينين، حسين سيد أحمد، لبنان دراسة في الجغرافية الطبيعية، دار النهضة العربية، 1980م.

4- إلياد، ميرسيا، تاريخ المعتقدات ولافكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، 1986-1987م.

5- الباشا، حسن، الفنون القديمة في بلاد الرافدين، اوراق شرقية، بيروت 2000م.

6- باقر، طه، " ديانة البابليين والاشوريين "، سومر، ج1، مجلد 2، 1946م.

7- باقر، طه، مقدمة في ادب العراق القديم، دار الحرية، بغداد، 1976م.

8- باقر، طه، وفرنسيس، بشير، " عقائد سكان العراق القدماء في العالم الآخر "، سومر، ج1، المجلد10، 1954م بغداد.

9- باقر، طه، " اصل الحروف الهجائية وانتشارها"، مجلة سومر، مج1،ج2، بغداد 1945م

10-باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، لندن 2009م.

11-برستد، جيمس هنري، انتصار الحضارة،ترجمة: احمد فخري،القاهرة 1966م.

12-برنهردت، كارلهاينز، لبنان القديم، ترجمة ميشيل كيلو، مراجعة زياد منى، دمشق، 1999م.

13-بعلبكي، رمزي، الكتابات العربية والسامية، دار العلم للملايين، بيروت 1981م.

14-تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الاله الملاح، مراجعة احمد القاف وحمد بن صراي،ط2، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ابوظبي 2007م.

15- ج. كونتنيو، الحضارة الفينيقية، ترجمة عبد الهادي شعيرة، مراجعة طه حسين، الهيئة المصرية للكتاب، 1997م.

16-الجربي، فيصل علي اسعد،الفينيقيون في ليبيا من 1100ق.م حتى القرن الثاني الميلادي، الدار الجماهيرية بنغازي1996م.

17- حامدة، احمد، مدخل الى اللغة الكنعانية، منشورات جامعة دمشق 1994-1995م.
18- حتي، فيليب، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحاضر، ترجمة انيس فريحه، مراجعة نقولا زيادة، دار الثقافة،ط2، بيروت 1972م.
19- الحديدي، احمد زيدان خلف، علاقات بلاد اشور مع الممالك الحثية الحديثة في شمال سوريا (911-612ق.م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، 2005م.
20- حنون، نائل، حقيقة السومريين، دار الزمان، دمشق،2007م.
21- حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة، مطبعة السلام، بغداد 1978م.
22- خلايلي، ابراهيم خليل، الحياة المدنية والدينية في المدينة الكنعانية الفينيقية في ضوء العهد القديم والحوليات الاشورية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تونس، 2001م.
23- دالي، ستيفاني، اساطير من بلاد ما بين النهرين، ترجمة: نجوى نصر، بيسان، بيروت 1979م.
24- الذييب، سليمان بن عبد الرحمن، الكتابة في الشرق الادنى القديم من الرمز الى الابجدية، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2007م.
25- رزقانة، ابراهيم وآخرون، حضارة مصر والشرق القديم، مكتبة مصر، د.ت.
26- زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد، دار النهضة العربية،القاهرة 1966م.
27- ساكز، هاري، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، الموصل، 1979م.
28- ساكز، هاري، قوة اشور، ترجمة عامر سليمان، منشورات المجمع العلمي، بغداد 1999م.
29- سليمان، عامر،" العلاقات السياسية الخارجية "، حضارة العراق،ج2، بغداد1985م.
30- السواح، فراس، مدخل الى نصوص الشرق القديم، دار علا الدين، دمشق، 2006م
31- الشاكر، فاتن موفق فاضل علي، رموز أهم الآلهة في العراق القديم، دراسة تأريخية دلالية، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل، 2002.
32- صالح، عبد العزيز، الشرق الادنى القديم،ج1(مصر/ العراق)،ط6، القاهرة 1997م.
33- صائب، سعد، دور سوريه في بناء الحضارة الانسانية عبر التاريخ القديم، دمشق 1994م.
34- عبد الحميد زايد " نظرات عابرة في العلاقات بين لغات الشرق الادنى القديم " عالم الفكر، المجلد2، العدد الثالث، 1971م.
35- عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الادنى القديم، دار الحصاد، دمشق، 1999م.
36- على، فاضل عبد الواحد، "هكذا كتبوا على الطين "، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد.
37- علي، فاضل عبد الواحد، " المعتقدات الدينية "، حضارة العراق، ج1، بغداد، 1985م.
38- علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، الأهالي، دمشق، 1999م.
39- علي، فاضل عبد الواحد،" حضارة بلاد وادي الرافدين، أصالتها وتأثيرها في بلدان الشرق الادنى القديم العراق في التاريخ، بغداد1983م.
40- فرج، هولو جودت، " أضواء على معتقدات صور الفينيقية "، تاريخ العرب والعالم، السنة 20، العدد 184، 2000م.
41- فرزات، محمد حرب،" الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجية في حضارة سوريا القديمة مراجعة لمصادر دراستها واهم ملامحها " دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة 13، العددان 41-42 اذار- حزيران 1992م.
42- فريجة، انيس، ملاحم وأساطير من اوغاريت، دار النهار، بيروت، 1980م.
43- فنطر، محمد حسين، الفينيقيون بناة المتوسط، منشورات البحر الابيض المتوسط، تونس، 1998م.

44- الفهداوي، يوسف خلف عبد الله، المدلولات السياسية والعسكرية في مشاهد استقبال الوفود الملكية والحكام في بلاد وادي الرافدين، آداب بغداد، العدد 63، 2002م.
45- الفياض، احمد لفته محسن، تاريخ الكتابة في بلاد الرافدين منذ ظهورها حتى اختراع الابجدية، اطروحة دكتورة غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، 2008،ص.
46- كريمر، صمويل، من اواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة احمد فخري، مكتبة المثنى، بغداد1975م.
47- الماجدي، خزعل، المعتقدات الكنعانية،عمان، دار الشروق، 2001م.
48- الماجدي، خزعل، انجيل بابل، الدار الاهلية، عمان، 1998م.
49- مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ربا الخش، دار الحوار، اللاذقية، 1998م.
50- مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الادنى القديم، المدن الكبرى في مصر والشرق الادنى القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1999م.
51- مورتكات، انطوان، تاريخ الشرق الادنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون،د.ت.
52- موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة.
53- هبو، احمد ارحيم، معالم حضارة الساميين وتاريخهم في سوريا وبلاد الرافدين، دار القلم العربي،2003م.
54- وولي، ليونارد، مدخل الى علم الاثار، ترجمة وتعليق حسن الباشا، الادارة العامة للثقافة، 1956م.

**ثانياً: الكتب الاجنبية:**

1- Ginsberg,H.L., " Ugaritic Myths , Epics, Legends" in (ANET).
2- Reiner, E., " Akkadian Treaties from Syria and Assyria", 1969.